تخطيط وعمارة مرقد الامامين العسكريين في سامراء
دراسة ميدانية

أ.د.صلاح الدين محسن زاير
جامعة بغداد–كلية الاداب–قسم الاثار
Salahaldin.m@coart.uobaghdad.edu.iq

تخطيط وعمارة مرقد الامامين العسكريين في سامراء – دراسة ميدانية

أ.د.صلاح الدين محسن زاير

الخلاصة:

تكمن أهمية مرقد الامامين العسكريين (عليهم السلام)في سامراء أنه يضم رفاة اثنين من أئمة أهل البيت هما الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري(عليهم السلام)، فضلاً عن رفاة السيدة نرجس والدة الامام الحجة المنتظر(عليه السلام) والسيدة حكيمة أخت الامام علي الهادي(عليهم السلام)، ولقد كان لدفن الامامين العسكريين (عليهما السلام) وأهل بيتهم في دارهم أثر كبير في تشجيع محبي أهل البيت من السكن حول المرقد الشريف وتوسع مدينة سامراء خلال العصور اللاحقه ، وقد تم أضافة وترميم وتجديد المرقد باستمرار بسبب حب الحكام والامراء والولاة وعامة الناس لمكانة ومنزلة الامامين العسكرين، ومع ذلك لم يسلم مرقد الامامين العسكريين في سامراء من الهجمة الشرسة التي تعرض لها على يد الارهاب في سنة (٢٠٠٦م).

الكلمات المفتاحية: ، تخطيط ، عمارة ، مرقد ، الامامين العسكريين ، سامراء ، تجديدات

Abstract:

The importance of the shrine of the two Imams Al-Askari (peace be upon them) in Samarra lies in the fact that it contains the remains of two Imams of the Household of the Prophet, Imam Ali al-Hadi and Imam al-Hasan al-Askari (peace be upon them), in addition to the remains of Lady Narjis, the mother of Imam al-Hujjah al-Muntazar (peace be upon him), and Lady Hakima, the sister of Imam Ali al-Hadi (peace be upon them). The burial of the two Imams Al-Askari (peace be upon them) and their family in their home had a great impact in encouraging the lovers of the Household of the Prophet to live around the holy shrine and the expansion of the city of Samarra during the subsequent eras. The shrine was continuously added to, restored and renovated due to the love of the rulers, princes, governors and the general public for the status and position of the two Imams Al-

Askari. However, the shrine of the two Imams Al-Askari in Samarra did not escape the fierce attack it was subjected to by terrorism in the year (2006 AD).

Keywords: Planning, Architecture, Shrine, the two Imams Al-Askari, Samarra, Renovations

نشأة المدينة:

أن السكن في مدينة سامراء هو مرتبط بتوفر عوامل الاستقرار المتمثله بالارض الخصبة والمياة الوفيرة ، وأسهمت عوامل عدة في التسارع بعملية السكنى لهذه المدينة ، منها أنتقال الخليفة المعتصم بالله (١٧٩-٢٢٧هـ/ ٧٩٦-٨٤٢م) من مدينة السلام الى مدينة سامراء لتكون عاصمة الخلافة العباسية الجديدة سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٥م)، فضلاً عن أن المدينة صارت مدفناً للأمامين العسكريين(عليهما السلام) فيما بعد ، وقد أصبح قبرا الامامين النواة الاولى للتوسع السكني والعمراني ، حيث كان للعقيدة الدينية أثرها الكبير في سكنى الناس حول ضريح الإمامين العسكريين(عليهما السلام) لحمايته والاحتماء به وادارته[١].

كان ولا زال لمرقد الإمامين العسكريين(عليهما السلام) تأثيرات روحية ودينية ، كونه يضم رفاة أثنين من أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وهو السبب الرئيس وراء السُكنى حول مرقد الأمامين والذي كان من نتائجه أتساع رقعة المنطقة التي شغلتها مدينة سامراء ، ولوجود المرقد أهمية كبيرة متمثلة بقدسية المكان ، فضلاً عن كونه أحد المراجع الخططية المهمة في تاريخ سامراء وذلك لبقائه في موضعه الاصلي لمدة الف ومائتي سنه حتى الوقت الحاضر[٢].

ومن الأسباب الاخرى التي أدت الى أتساع دائرة السكنى في المدينه هو ما تحدثت به كتب التاريخ والسير عن مكانة الامامين الدينية والعلمية ، حيث كان الكثير من الناس يفضل السكن قريباً من القبرين للتبرك بهما[٣]، وثمة سبب آخر تمثل بمزاولة بعض الناس حرفة تقديم الخدمه للزائرين من خلال سكنهم حول مرقد الإماميين[٤].

سيرة الامام علي الهادي (عليهم السلام) :

اسمه: علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب[٥] .

كنيته : عرف الامام علي الهادي (عليه السلام) بكنية واحدة وهي ابو الحسن لا غير[٦] .

لقبه : كان للأمام علي الهادي (عليه السلام)العديد من الألقاب التي عرف بها منها : " الهادي، والعسكري، والعالم، والدليل، والعلم، والموضح، والراشد" [٧].

ولادته: كان مولده(عليه السلام) في النصف من ذي الحجة عام ٢١٢هـ في قرية من قرى المدينة[٨] ، ونجد مَنْ يؤرخ ولادته في يوم الاحد الثالث عشر من شهر رجب سنة ٢١٣هـ[٩]، بينما هناك مَنْ يذكر ولادته في رجب سنة اربع عشرة ومائتين[١٠] .

اولاده : له من الولد: الحسن الامام، ومحمد، والحسين، وجعفر المدعي الامامة المعروف بالكذاب[١١] .

وصيته ووفاته (عليه السلام):

مرض الامام ابو الحسن علي بن محمد(عليه السلام)في سنة اربع وخمسين ومائتين، واحضر ابنه ابا محمد الحسن(عليه السلام)واوصى اليه وتوفى على اثر مرض اصابه[١٢].

سيرة الامام الحسن العسكري (عليه السلام):

اسمه: " الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام) " [١٣].

كنيته : ابو محمد [١٤] .

لقبه: العسكري والصامت والمشفع والموفي والمولى والزكي والسخي والتقي والنقي والمستودع[١٥].

زوجته: كان للامام الحسن العسكري(عليه السلام) زوجة تسمى السيدة نرجس ، وهي أم الامام الحجة المنتظر(عليه السلام)[١٦] .

ولد له الخلف الامام الثاني عشر صاحب الزمان (عليه السلام)واسمه محمد بن الحسن[١٧].

يذكر ان الامام الحسن العسكري(عليه السلام) لم يكن له من الولد سوى الامام المهدي المنتظر[١٨] .

وفاته: قبض ابو محمد الامام الحادي عشر الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب(عليه السلام) سنة ستين ومائتين في خلافة المعتمد وهو ابو الامام المهدي المنتظر[١٩] .

سيرة الامام المهدي المنتظر(عليه السلام):

وردت العديد من الروايات والاحاديث عن الامام المهدي المنتظر (عليه السلام)على لسان النبي وعلى لسان اهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) وكل تلك الروايات بشرت بمولده المبارك ونسبه الشريف ومكانته التي خصه الله بها[٢٠] .

سوف نستعرض بعض من هذه الروايات ، قال رسول (ص): " ان الله عز وجل اختار من الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر ومن الشهور شهر رمضان واختارني رسول الله من الرسل واختار مني عليا واختار من صلب علي الحسن والحسين واختار من الحسين تسعة ائمة وتاسعهم قائمهم هو ظاهرهم وباطنهم " [٢١].

عن الامام الصادق(عليه السلام)قال:"الائمة الهداة بعد رسول الله(ص)أولهم امير المؤمنين علي بن ابي طالب وآخرهم القائم بالحق بقية الله في الارض وصاحب الزمان[٢٢] .

عن سلمان المحمدي قال:قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) عن المهدي القائم(عليه السلام) والله ليغيبن حتى يقول الجهال ما بقي لله من ال محمد من حاجة ثم يطلع طلوع البدر في وقت تمامة والشمس في وقت اشراقها فتقر عيون وتعمى عيون [٢٣].

اسمه: محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام [٢٤] .

كنيته: ابو القاسم، ابو ابراهيم[٢٥].

القابه: للإمام المهدي القاب كثيرها منها : " المنتقم، وصاحب الرجعة البيضاء، وسدرة المنتهى، والغاية القصوى، وغاية الطالبين، وفرج المؤمنين، ومنية الصابرين، واليوم الموعود، وطالب الثارات، والفرج الأعظم، والصبح المسفر، وعاقبة الدار، والعدل، والقسط، والأمل، والمحسن، والمنعم، والمفضل، والسناء، والضياء، والحق، والصدق، والصراط، والسبيل" [٢٦] .

امه: ام ولد يقال لها نرجس[٢٧].

ولادته: ولد الامام المهدي(عليه السلام)في ليلة النصف من شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين[٢٨].

نبذة عن تاريخ مرقد الامامين العسكريين:

استقدم المتوكل العباسي الإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام) من المدينة المنورة إلى سامراء سنة (٢٤٣هـ /٨٥٧ م) بعد أن كثرت الوشاية عليه، فوضعه تحت أنظاره وعيونه، وأُبلغ الإمام أن لا يغادر سامراء، أي أنه وضع تحت الإقامة الجبرية في سامراء، مما حدا بالإمام أن يبتاع دارًا من رجل نصراني اسمه دليل بن يعقوب، فسكنها الإمام (عليه السلام) مع أهله وعياله الذين جاء بهم من المدينة معه، وكان في الدار سرداب، ولما توفي الإمام (عليه السلام) سنة (٢٥٤هـ /٨٦٨ م) دفن في صحن داره[٢٩] .

دار الإمام علي الهادي(عليه السلام) كانت تقع في منطقة تسمى العسكر ولهذا لقب بالعسكري ، ولما توفى ولده الحسن العسكري(عليه السلام) الامام الحادي عشر سنة(٢٦٠هـ/٨٧٣م) دفن الى جوار ابيه فكان قبرا الامامين نواة حضرتهما وبقي الحال الى سنة(٣٣٣هـ/٩٤٤م) ايام ناصر الدولة الحمداني حيث بنى قبة على الضريحين وسورهما بسور[٣٠]، وفي ايام معز الدولة البويهي قام بتعمير ضريح الامامين العسكريين وجعل على ضريحيهما صندوق من الخشب ، وفي ايام عضد الدولة البويهي قام بتعمير الروضة والاروقة والصحن ، وفي عام (٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) قام البساسيري ببناء عمارة عالية على قبر الامامين(عليهما السلام)، وفي عام (٦٤٠هـ/ ١٢٤٨م) وقع حريق في المرقد المطهر فقام الخليفة العباسي المستنصر بالله بعمارته واهتم بسرداب الغيبة وجعله اجمل مما كان في عهد البساسيري[٣١].

ممكن نستخلص مما تقدم ان بناء مرقد الامامين العسكريين كان يتألف من حجرة تعلوها قبة ، ومثل بقية ابنية المراقد والمشاهد تعرض مرقد الامامين الى ترميمات وتجديدات واضافات وتوسعات متعددة ومتتالية ، وقد اثرت هذه العمليات على طابع معالمها الاصلية ومظهرها الاول، وتم ادخال عناصر معمارية وزخرفية تعكس ما ساد وازدهر في كل مرحلة من مراحل التطوير وفي كل عصر من العصور.

تخطيط وعمارة مرقد الامامين العسكريين:(مخطط١)

يذكر ان بناء المرقد الحالي للإمامين علي الهادي والحسن العسكري(ع) يرجع الى عام (١٢٢٥هـ/١٨١٠م)، وقد تم فيما بعد تذهيب القبة عام(١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)، ويجاور

المرقد جامع المهدي، ويقوم الجامع فوق سرداب الغيبة، ويعتقد بان الامام المهدي بن الحسن العسكري(ع)غاب فيه ، ويذكر ان الخليفة العباسي الناصر لدين الله قد أمر ببناء هذا الجامع وتعمير سرداب الغيبة عام(٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، وهذا ما مثبت على مشبك سرداب الغيبة[٣٢].

يتوسط مرقد الامامين العسكريين بلدة سامراء في الوقت الحاضر، ويشغل مساحة أرض مربعة الشكل طول ضلعها(١١٥م) ، ويحيط بالمرقد سور ضخم يفصل بين المرقد والطرق والاسواق والدور المجاورة (صورة١) ، تخطيط مرقد الامامين العسكريين يشبه الى حد كبير تخطيط مرقد الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)في النجف الاشرف، فضلا عن التشابه الواضح في استعمال العناصر العمارية والزخرفية.

يحيط بمرقد الامامين العسكريين سور ضخم من ثلاث جهات، أبعاده(٧٧x ٤٠,٨٠م)، يضم مجموعة من الاواوين بطابق واحد ، يبلغ عددها (٦٢) أيواناً تطل على الصحن بعقود مدببة منفرجة (صورة ٢) ، ويتوسط الجدار الجنوبي في هذا السور ايوان يضم مدخل ضخم مرتفع ينتهي من الاعلى بعقد مدبب منفرج مغطى بقراميد خزفية(قاشاني) ذات تشكيلات زخرفية جميلة تمثلت بالزخارف النباتية والهندسية ، فضلا عن الآيات القرآنية (صورة ٣)، ويسد المدخل في هذا الايوان باب يقابل الباب الرئيس الذي يسد مدخل ايوان الذهب ، أي انهم على محور واحد ، وقد جرت على الجدار الغربي بعض الاعمال البنائية التي حررته من الابنية الملاصقة له، وتمكن المعمار من فتح مدخل وسط ايوان ضخم يشبه ايوان المدخل الرئيسفي الضلع الغربي ، وكسيت واجهات جدران اواوين السور واجزاء واسعة منه بقراميد خزفية(قاشاني) جميلة .

الدخول الى مرقد الامامين العسكريين يكون عن طريق خمسة مداخل ، المدخل الرئيس يتوسط الجدار الجنوبي (صورة ٣)، كما هو الحال في اغلب المراقد المقدسة بأتجاه القبلة ، ويقع اثنان منها في كل من الجدارين الشرقي والغربي.

ضريح الامامين العسكريين مستطيل الشكل أبعاده(٤٣ x ٣٨م)، وتواجه جدرانه الجهات الاربعة ، والجدار الجنوبي يختلف عن بقية الجدران حيث يتوسطه ايوان ضخم مرتفع يدعى ايوان الذهب، وكانت اجزاء واسعة منه ومقرنصاته العنقودية مطلية بالواح

الذهب قبل التفجير الارهابي(صورة ٤)، ويشبه هذا الايوان ايوان الذهب في مرقد الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في مدينة النجف الاشرف.

المدخل الرئيس للضريح يتوسط ايوان الذهب ، وهو على محور المدخل الرئيس للمرقد ، والذي يربط بين المدخل الخارجي ومدخل حجرة الضريح ، والابواب في ضريح الامامين العسكريين كانت مطلية بالذهب والمينا واروعها باب ايوان الذهب سابقا قبل التفجير الارهابي(صورة ٤) .

تتقدم جدار ايوان الذهب سقيفة شبيه بالسقيفة التي تتقدم مرقد الامامين الحسين والعباس(عليهما السلام) في كربلاء المقدسة ، يبلغ عرضها عشرة أمتار، وقد زينت جدران ضريح الامامين العسكريين من الخارج عدا الحنايا والنوافذ بقراميد خزفية(قاشاني) التي تتصف بجمال تشكيلاتها وتنوع ورقة الوانها وتناسق اشكالها الزخرفية ، فهي تتألف من تشكيلات نباتية وهندسية وكتابات، ويتوج الجدران شريط كتابي تمثل بآيات قرآنية رسمت حروفها بلون ابيض على ارضية زرقاء داكنة، هذه التفاصيل كانت موجودة قبل التفجير الارهابي(صورة ٥).

مدخل ايوان الذهب يسده باب خشبي حديث يؤدي الى حجرة الضريح وهي مربعة الشكل أبعادها(١٥x١٥م)، تضم قبري الامامين علي الهادي والحسن العسكري (عليهما السلام) ، وتمتاز بجدرانها الضخمة التي ترتفع بحدود (١٠م) عن مستوى أرضية الحجرة ، وقد استفاد المعمار من ضخامة الجدران لفتح حنايا واواوين فيها تزيد البناء سعة وفخامة ، فضلا عن الاقتصاد في المواد البنائية ، لذلك نلاحظ هناك العديد من الحنايا والاواوين في جدران حجرة الضريح تنفتح على الاروقة المحيطة بها وباعداد تتناسب مع تلك التي تطل على الاروقة من الجهات المقابلة (صورة ٦) ، وتحمل جدران حجرة الضريح قبة بصلية ضخمة ذات رقبة اسطوانية طويلة نسبيا تتخللها عدة نوافذ ذات عقود مدببة منفرجة مثل معظم عقود مرقد العسكريين ، وقبة الضريح يبلغ قطرها (١٥م) ، وهي مثل قبة مرقد الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)في النجف الاشرف مطلية بالذهب(صورة ٣).

فتح في حجرة الضريح اربعة مداخل تتوسط الجدران تطل على الاروقة المحيط بيها ، وهذه الاروقة مستطيلة الشكل بعرض أربعة أمتار ، وترتفع جدرانها بارتفاع جدران حجرة الضريح ، وتنفتح في جدران حجرة الضريح حنايا واواوين تطل على الداخل ، أما من الخارج فتضم جدران حجرة الضريح حنايا بصفين فتح في الصف السفلي منها نوافذ ومداخل ، وسقفت الاروقة المحيطة بحجرة الضريح بأقبية نصف اسطوانية .

شغلت اغلب حنايا واواوين الضريح من الداخل بمقرنصات عنقودية وكسيت جدرانها بأروع التشكيلات الزخرفية النباتية والهندسية ، فضلا عن الآيات القرآنية، ويحيط بالقبرين الشريفين صندوق مشبك ضخم معمول من الفضة بادق صنعة واجمل مظهر (صورة ٧)، وارضية الضريح وجدرانه مكسوة الى ارتفاع مترين بمرمر ايطالي اخضر مجزع ، ويؤطر هذه الكسوة من اعلى شريط من الكتابات الجميلة يدور مع العقود والاواوين ، وكسيت بقية الواجهات التي تعلو الشريط الكتابي وباطن القبة ورقبتها بقطع المرايا والقراميد الخزفية (القاشاني) الرائعة ، ويطوق رقبة القبة عند قاعدتها ونهايتها شريط من آيات قرآنية (صورة ٨).

تقوم في ركني الجدار الجنوبي مئذنتان اسطوانيتان رشيقتان ، ولكل منهما حوض يستند على عدة صفوف من المقرنصات ، وكسيت ابدانهما بطابوق مزجج مصفوف بطريقة فنية نتجت عنها تشكيلات زخرفية جميلة، وتطوق الابدان عند قاعدتيهما ونهايتهما انطقة ذات تشكيلات زخرفية جميلة ، وكانت الرقاب مغطاة ايضا بالطابوق المزجج ، هذه التفاصيل كانت موجودة قبل التفجير، وقد كسيت بالواح الذهب بعد اعادة اعمارها على اثر التفجير الارهابي (صورة ٣) .

اتبع المعمار في بناء ضريح الامامين العسكريين نفس الطريقة المستعملة في تشييد الجدران الضخمة في مرقد الامامين علي بن ابي طالب(عليه السلام)في النجف الاشرف، والامام موسى بن جعفر(عليه السلام) في مدينة الكاظمية المقدسة .

جامع المهدي : (مخطط١)

يتصل بناء جامع المهدي بضريح الامامين العسكريين عند زاويتها الشمالية الغربية ، ويكاد بناء الجامع ان يكون مستقل عن ضريح الامامين العسكريين ، الجامع مستطيل الشكل

أبعاده (٦١,٥ x ٨٣,٨٠م) ، وللجامع سور خارجي يحيط به ، يليه صحن واسع يحيط به من ثلاث جهات، ثم مصلى شتوي واخر صيفي ، مدخله يتوسط الضلع الشمالي ويقابل مدخل المصلى ، يقع المصلى في القسم الجنوبي ويلتصق بالجدار الجنوبية ، والجدران الخارجية للجامع ضخمة ومرتفعة تصل الى حدود (١٠م) (صورة ٩).

يتقدم المصلى من الناحية الشمالية رواق بهيئة مصلى صيفي يتألف من اسكوب واحد فقط أما تخطيط المصلى الشتوي في الجامع فهو بسيط ويتألف من اربعة اساكيب وثلاث بلاطات ، ، وجدران الجامع متينة وضخمة وتضاهي في سمكها جدران ضريح الامامين العسكريين ، وجعلت بهذا الشكل لترفع قبة المصلى العالية التي تسقف ثلاثة اساكيب وجزء كبير من بلاطة المحراب، والقبة بصلية الشكل مرتفعة ذات رقبة اسطوانية مرتفعة تتخللها نوافذ ، اما قطر القبة فيبلغ (١٥,١١م) ومحيطها(٤٥,٣٢م) ، وقد كسيت القبة ورقبتها بقراميد قاشانية ذات تشكيلات زخرفية جميلة ومتقنة تمثلت بالزخارف النباتية والهندسية التي تمتاز بالوانها الرقيقة وعناصرها المتناسقة فضلا عن الشريط الكتابي الذي يزين رقبة القبة (صورة ٩) ، وتضاهي هذه القبة قبة ضريح الامام العباس(عليه السلام) في كربلاء المقدسة قبل ان تزال كسوتها من القراميد الخزفية(القاشاني) الفريدة التي كانت تزينها .

يتوسط المحراب جدار القبلة ويجاوره المنبر ، وتكاد وجوه الجدران من الداخل ان تخلو من اية تشكيلات زخرفية ، ويمكن الدخول الى المصلى الشتوي عن طريق مدخل فتح داخل ايوان يرتفع بحدود خمسة امتار ، ويسد هذا المدخل باب خشبي من مصراعين ، ويعلو المدخل عقد مدبب منفرج زين باطنه بالمقرنصات المركبة ، كما توج الايوان بنطاق من تشكيلات زخرفية نباتية بديعة .

يقع تحت مصلى الجامع سرداب الغيبة المشهور، والدخول اليه يكون عن طريق احد اروقة مصلى الجامع ، ويتم النزول الى السرداب عن طريق درج من عدة درجات مكسية ببلاطات الرخام (صورة ١٠)، فضلا عن اكساء جدران الدرج ببلاطات الرخام يعلوها شريط كتابي تليها زخارف هندسية معمولة من المرايا التي تغطي جانب وسقف الدرج ، وينتهي الدرج بممر يقع على يمين النازل يؤدي الى مصلى صغير خصص جزء منه للرجال والاخر للنساء(صورة١١).

كسيت اجزاء من جدران سرداب الغيبة بالقراميد الخزفية(القاشاني) الرائعة ذات التشكيلات الزخرفية الجميلة التي تمثلت بالزخارف النباتية والهندسية التي تمتاز بالوانها الرقيقة وعناصرها المتناسقة فضلا عن الشريط الكتابي الذي يزين الجدران والذي ضم آيات من القرآن الكريم(صورة١٢).

يذكر ان الامام الحجة المنتظر(عليه السلام) كان يقضي معظم وقته في العبادة في هذا السرداب لانه كان مطارد من قبل خلفاء بني العباس، وهناك مكان في هذا السرداب اغلق بواجهة حديثة ضمت مدخل وبجانبه مشبك من الفضة ، يعتقد أنه مكان عبادة وخلوة الامام المهدي(عليه السلام) ، ويقوم عامة الزوار الى مرقد الاماميين العسكريين (عليهما السلام) بزيارة سرداب الغيبة واداء الصلاة والدعاء فيه (صورة ١٣).

اراء في مرقد الامامين العسكريين

ان اقدم من يشير الى وجود مرقد الامامين العسكريين المطهرة في سامراء من المراجع الحديثة محررو دائرة المعارف الاسلامية المطبوعة في لايدن بهولندا سنة ١٩١٣ ، فقد جاء فيها: ".... وقد حل الخراب في معظم هذه الابنية والقصور منذ القرن العاشر للهجرة ، ولم يستقم منها غير الجامع الكبير بالقرب من معسكرات الجيش، ومن أجل هذا عرفت تلك المنطقة من سامراء بأسم (العسكر)" . وقد أدى تمسك الشيعة بأئمتهم المعصومين الى الاحتفاظ هناك بقبر إمامهم الحادي عشر ابي محمد الحسن الملقب بالعسكري لانه توفى في سامراء سنة (٢٦٠هـ)، وبسرداب الغيبة الذي اختفى فيه ابنه أبو القاسم محمد المهدي خليفته اليافع سنة (٢٦٤هـ/٨٧٨م)، والمعروف ان زوار الشيعة ظلوا خلال الالف السنة الأخيرة يزورون سرداب سامراء[٣٣].

يشير الى ذلك المستشرق لسترنج في كتابه فيقول: ".....أما ما هو احدث من ذلك من مراجع ، فلم يزدنا علماً بسامراء الا قليلاً ، ثم صار جل أهل سامراء من الشيعة ، إذ أن فيها ضريحي الامامين العاشر والحادي عشر : علي الهادي وابنه الحسن العسكري، وفي جامعها سرداب الغيبة يقولون ان الامام الثاني عشر غاب فيه سنه (٢٦٤هـ/ ٨٧٨م) وهو القائم المهدي المنتظر الذي سيعود في آخر الزمان، ويقوم هذان الضريحان في الموضع المعروف بعسكر المعتصم، والى هذا الموضع نسب الامام الحسن فعرف بالعسكري" [٣٤].

اما المستر سيتون لويد فيشير الى وجود الضريحين المطهرين اشارة عابرة في (مدن العراق الأثرية) فيقول: " ..... وهي تحتوي على ضريح امامين من الأئمة الاثني عشر، ومزار خاص بالامام الثاني عشر المهدي ، الذي اختفى هنا في كهف تحت الارض . وان الباب الذي يسمى(باب الغيبة)، والذي ينتظر ان يمر منها ثانية عند ظهوره في آخر الزمان، محفوظة في سرداب يقع تحت القبة الذهب الكبرى في سامراء. وهي نموذج يلفت النظر لاشغال الحفر التي تعود الى القرن الرابع عشر، وقد رممت مؤخراً " ، ولابد من الاشارة هنا الى ان هذا الباب قد نقل بعد ذلك الى جناح الاثار العربية في المتحف العراقي في بغداد ، وما يزال موجودا فيه ، ولابد لنا من ان نشير كذلك الى ان سرداب الغيبة الذي يعتقد سيتون لويد ، وغيره من الكتاب الغربيين مثل هرتسفيلد ، انه تحت القبة الذهبية هو في الحقيقة تحت القبة الثانية غير المذهبة كما لا يخفى[٣٥].

يذكر أن سامراء" ..... طيبة الهواء كثيرا. وفيها نحو الف بيت . ومن المزارات فيها مزار الامام علي النقي ، والامام حسن العسكري (ع)، ومحل غيبة الامام محمد المهدي. وفي كل سنة يبلغ زوار الشيعة من العرب والعجم نحو ثلاثين ألفا، يأتون الى هذه المشاهد للزيارة . ويقال لسامراء(العسكر)" [٣٦]

تعد مدينة سامراء الحديثة في نظر الشيعة اليوم ذات أهمية فائقة لوجود مرقد الامامين العسكريين(عليهما السلام)، فضلا عن سرداب الغيبة ، وتعلو مرقد الامامين العسكريين القبة الذهبية التي بدأ بتشييدها ناصر الدين شاه وأكمل بناءها مظفر الدين شاه سنة (١٩٥٠م)، وتوجد تحت هذه القبة أربعة قبور مطهرة هي: قبرا الامامين علي الهادي وابنه الحسن العسكري ، وقبرا السيدتين القريبتين لهما ، واحداهما حليمة أخت الامام علي هادي التي روت الظروف التي أحاطت بولادة الامام الغائب ، والاخرى نرجس خاتون والدة الامام المهدي ، أما سرداب الغيبة ففيه المكان الذي اختفى به عن الانظار ، وله قبة تمتاز بدقة تصميمها وزخرفتها بالقراميد الخزفية(القاشاني) ذات اللون الازرق ، ويقع تحتها سرداب الغيبة ، الذي ينزل اليه الزوار عن طريق سلم طويل خاص[٣٧].

يذكر في احدى الرحلات " فذهبنا الى مشهد سامرا وهو مسجد على طراز مساجد الكاظمية وكربلاء والنجف ولكنه أصغر وأقل أبهة . وتحت قبته مقصورة فيها أربعة قبور

للإمام الهادي وابنه الحسن العسكري والسيدتين سكينه وحليمة ، ويقال لهما هناك سكينه خاتون وحليمة خاتون ، وهي كلمة تركية مستعملة في العراق معناها السيدة إحدهما زوج الهادي والاخرى عمته"[٣٨] .

ظلت عمارة مرقد الإماميين العسكريين(عليهما السلام) تزداد اتساعًا ورونقًا وجمالًا حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم من الأبهة والجلال والسعة، إذ تبلغ مساحته اليوم حوالي (١٣) ألف متر مربع، أما طول الصحن (١١٢) مترًا، وعرضه (١٠٨) أمتار، وهو مفروش بالمرمر الأبيض، وأما ارتفاع سوره فيبلغ (٧) أمتار، وهو مكسو إلى ارتفاع مترين بالمرمر الأبيض، وما يعلوه فقد كسي بالقاشاني الملون البديع[٣٩].

عند حلول القرن العشرين توالت الاصلاحات والتوسعة وفتح الشوارع حول الصحن الشريف، وجلبت مولدات الكهرباء الديزل للصحن الطاهر وما حوله وقد علقت الثريات والمصابيح الكهربائية لتنير مرقد الامامين العسكريين ليزداد جمالا وبهاء.

ملاحظات عن مرقد الامامين العسكريين قبل التفجير :

تُعد العناصر العمارية الرئيسة وطريقة بنائها في مرقد الامامين العسكريين مقاربة لما موجود في مرقد الامامين الكاظمين والروضة الحيدرية وذلك من خلال الملاحظات الأتية[٤٠]:

١-التخطيط الارضي للبناية يشبه الى حدا كبير التخطيط المتبع في اغلب المراقد الموجودة في العراق ، ولكنه اكثر قربا الى تخطيط الروضة الحيدرية الشريفة في النجف.

٢-مرت على بناء الروضة العسكرية عدة مراحل بنائية وبفترات مختلفة كان اخرها بناء الطارمة الغربية والقاعة الشمالية في عهد النظام السابق ، وان اقوى كتلة بنائية تلك القائمة عليها القبة الذهبية التي تعتبر اكبر قبة مبنية فوق المراقد الدينية في العراق.

٣-تعرض المرقد الى اضافات كثيرة بعضها اضافات غير دقيقة البناء ، كان الغرض منها تهيئة واجهة لاكسائها بالطابوق الكربلائي ، يمكن مشاهدة امثلة منه بوضوح في الواجهة الغربية والشرقية المطلة على الصحن .

٤-يوجد في المرقد شريط من الآيات القرآنية والابيات الشعرية والتواريخ كتبت بمختلف انواع الخطوط ، مما يتطلب التعامل معها بدقة والاستعانة بالوثائق التاريخية لمعرفة

الاجزاء الناقصة من تلك الكتابات ، وكذلك استعمل في البناء انواع مختلفة من الزخارف النباتية والهندسية ، يتطلب الامر دراستها ومعرفة اصولها التاريخية.

التفجير الارهابي لمرقد الاماميين العسكريين:

فجر يوم ٢٧ من شهر محرم الحرام سنة(١٤٢٧هـ)الموافق صباح يوم الأربعاء ٢٢ شباط (٢٠٠٦م) قامت مجموعة من الإرهابيين بتفجير كبير للقبة المطهرة للإماميين العسكريين(عليهما السلام)،بعد أن قاموا بزرع عدد من العبوات الناسفة تحت القبة وفجروها مما أدى إلى انهيار القبة التي تعلو الضريح والتي تُعد أكبر قباب العالم الإسلامي الشاخصة.

انتشر خبر التفجير كالنار في الهشيم، فخرجت الآلاف من الجماهير الموالية الى الشوارع التي بدت تموج بمن فيها وعمت مظاهر الغضب مدن جنوب ووسط العراق في تظاهرات احتجاجية على تفجير المرقد الطاهر.

اجتمع مراجع الدين الكبار في النجف الأشرف بالمرجع الأعلى، وعقبها أصدر مكتب المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي السيستاني بيانًا استنكاريًا للفاجعة معلناً فيه الحداد العام لسبعة أيام ، ودعا فيه إلى ضبط النفس وعدم اتخاذ أي اجراءات تؤدي إلى وقوع الفتنة الطائفية التي يريدها من نفذ التفجير، وكذلك صدرت بيانات مماثلة من باقي مراجع الدين العظام .

ولولا موقف المرجعية في تهدئة الجماهير الغاضبة لانفلت زمام الأمور ولحدثت كارثة وحرب أهلية طائفية في العراق لا يعلم مداها إلا الله .

وقد استنكرت هيئات ودوائر ومكاتب وشخصيات عالمية وإسلامية هذا الفعل المشين، وبعدها قام المؤمنون بالمباشرة بإعادة إعمار الروضة المطهرة للإمامين العسكريين (عليهما السلام) وهي الآن في مراحلها الأخيرة .

أدخلت منظمة اليونسكو مدينة سامراء التاريخية ضمن التراث العالمي ، فضلا عن كونها مشمولة بقانون الاثار والتراث المرقم ٥٥ في ٢٠٠٣ .

الاضرار في مرقد الاماميين العسكريين بعد التفجير[٤١]:

١-تضرر الواجهة الشرقية بشكل كبير نتيجة لقوة الانفجار .

٢-تضرر أغلب الاروقة المحيطة بالقبر بشكل كبير من شدة الانفجار

٣-القبة الرئيسة تعرضت الى ضرر كبير وتشقق في الاجزاء المتبقية منها ، وان بعض تلك التشققات نافذة خصوصا عند الاجزاء العليا من النوافذ الاثني عشر التي تحيط برقبة القبة .

٤-يوجد الكثير من التشققات الطولية والعرضية في الكتلة البنائية المتبقية وخصوصا القبة والجزء العلوي منها بالذات.

٥-تضرر الشباك الخشبي القديم المنسوب عمله الى عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله للضرر نتيجة الانفجار.

٦-تعرض ارضية الصحن والضريح الشريف لتخسفات نتيجة الانفجار وتساقط كتل بنائية ثقيلة عليه من شدة الانفجار .

٧-تعرض سقف وجوانب سرداب الغيبة الى الاضرار نتيجة الانفجار الشديد .

إعادة الاعمار في مرقد الاماميين العسكريين بعد التفجير[٤٢]:

١-تم اعادة بناء الواجهة الشرقية حسب تصميمها السابق بعد ان تضررت بشكل كبير .

٢-تم اعادة تسقيف الاروقة المحيطة بالقبر ، حيث تم العمل حسب طريقة البناء الاصلية

٣-اعادة تزيين الاروقة بقطع المرايا وباشكال هندسية كما كانت في الاصل .

٤-تم إعادة بناء القبة الرئيسة على الطراز السابق نفسه ، فضلا عن اعادة فتح النوافذ الاثني عشر التي تحيط برقبة القبة .

٥- ارجاع الشباك الخشبي القديم الموجود في سرداب الغيبة المنسوب عمله الى عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله الى مكانه ، بعد أن تعرض للضرر نتيجة الانفجار.

٦–عمل صبة كونكريتية لارضية الصحن والضريح الشريف التي تعرضت للتخسفات نتيجة الانفجار وتساقط كتل بنائية ثقيلة الوزن عليه من شدة الانفجار .

٧–تم صيانة سقف وجوانب سرداب الغيبة استعدادا لاعادة تزيننه بالمرايا وفق نفس الزخارف التي كانت تزينه قبل التفجير .

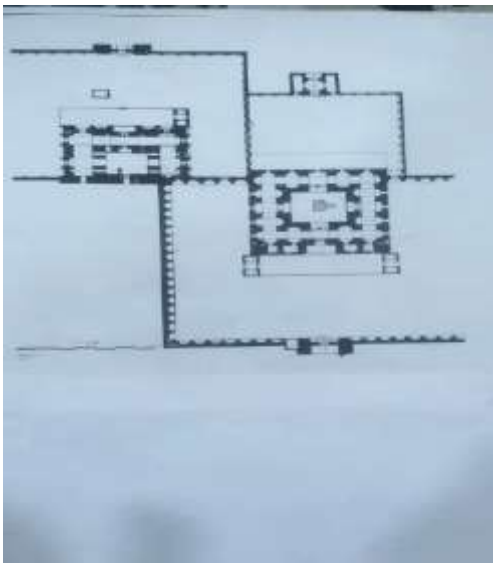

(مخطط ١)

مرقد الإمامين العسكريين وجامع المهدي

المصدر – العمارات العربية الاسلامية في العراق

(صورة ١)– مرقد الامامين العسكريين يتوسط مدينة سامراء

(صورة ٢)– سور فتحت فيه اواوين تحيط بمرقد الامامين العسكريين

(صورة ٣)– المدخل الخارجي المؤدي الى مرقد الامامين العسكريين

(صورة٤)– مدخل ايوان الذهب في مرقد الامامين العسكريين بعد اعادة الاعمار

(صورة ٥)– سيقفة تتقدم مدخل ايوان الذهب في مرقد الامامين العسكريين

(صورة ٦)– أروقة واواوين وحنايا تحيط بحجرة الضريح

(صورة ٧)– الصندوق المشبك المحيط بقبر الامامين العسكريين

(صورة ٨)– تشكيلات زخرفية تزين جدران مرقد الامامين العسكريين

(صورة ٩)– مدخل جامع الامام المهدي

(صورة ١٠)– الدرج المؤدي الى سرداب الغيبة في سامراء

(صورة ١١)– مكان مخصص للصلاة في سرداب الغيبة

(صورة ١٢)– تشكيلات زخرفية وآيات قرآنية تزين جدران سرداب الغيبة

(صورة ١٣)– مكان زيارة الامام المهدي في سرداب الغيبة

الهوامش :

[1]– ال ياسين ، محمد حسن ، لمحات من تاريخ الكاظمية ، مجلة البلاغ ،العدد الثالث والرابع ،السنة الثالثه ، مطبعة المعارف، بغداد ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص٦– ٧ .

[2]– جواد ، مصطفى ، وسوسه ، احمد ، دليل خارطة بغداد المفصل ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ،ص١٠٠

[3]– – ال ياسين ، تاريخ المشهد الكاظمي ، مطبعة المعارف ، ط / ١ ، بغداد ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، ص ٥ .

[4]– النقدي ، الشيخ جعفر ، تاريخ الامامين الكاظميين (ع) ، مطبعة الغري الحديثه ، ط ٢ ، النجف ، بدون تاريخ ، ص ٥٥ .

[5]– الشيخ المفيد، الامام ابي عبد الله محمد بن محمد العكبري البغدادي ،الارشاد، تحقيق مؤسسة ال البيت عليهم السلام للاحياء التراث ، لبنان ، (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، ط٢، ج٢ ، ص٢٩٧–٣٢٧ .

[6]– الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (٧٦٤هـ) ،الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارنأووط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العلمي ، لبنان ، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ،ط١، ج٢٢، ص٤٨.

[7]– سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي البغدادي (٥٨١–٦٤٥هـ) ، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الائمة ، تحقيق حسين تقي زاده ، المجمع العالمي لأهل البيت ، لبنان ، (١٤٣٣هـ) ، ط٢، ج٢، ص ٤٩٢–٥٠٠ .

[8]– الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٢٩٧ .

[9]– ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٠٨–٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ج٣، ص ٢٧٢–٢٧٣ .

[10]– الخصيبي ، ابي عبد الله الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤هـ)، الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ للطباعة ، (ب.م) ، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ص٣١٣. وينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص٥٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٧٢؛ ابو الفداء، المختصر في تاريخ البشر، ص٤٥.

[11]– الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٣١٢ .

[12]– الخصيبي ، الهداية الكبرى، ص٣٢١.

[13]– سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ج٢، ص ٥٠١ .

[14]– ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص٩٤ .

[١٥]– الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٣٢٧ .

[١٦]– الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢ ، ص٣٣٩ .

[١٧]– ابن الاثير ، ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت٦٣٠هـ) ، الكامل في التاريخ ، راجعه محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ج٦، ص ٢٥٠ ؛ الخصيبي، الهداية الكبرى، ص ٣٧٥–٣٧٧ .

[١٨]– الشيخ المفيد ، الارشاد، ص٣٣٩–٣٤١ ، ٣٤٥– ٣٥٠ .

[١٩]– المسعودي، علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ،ج٤،ص ١٦٠ .

[٢٠]– الشيخ المفيد، الارشاد، ج٢، ص٣٣٩ .

[٢١]– المسعودي، علي بن الحسين ، اثبات الوصية ، مؤسسة تراث الشيعة ، ط١، قم ، ايران ، (١٤٤٤هـ)، ص٤٢٨

[٢٢]– الشيخ الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)، كمال الدين وتمام النعمة ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ايران ، (١٣٩٠هـ)، ج١، ص٦٣ .

[٢٣]– الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٣٦١ .

[٢٤]– الطبرسي ، الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن ، اعلام الورى باعلام الهدى ، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط٢،قم ، ايران ، (١٤١٧هـ)، ج٢، ص ١٨١–١٨٢ .

[٢٥]– سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ج٢ ، ص ٥٠٦ .

[٢٦]– الخصيبي، الهداية الكبرى، ص٣٢٨ .

[٢٧]– الشيخ المفيد ، الارشاد ،ج٢ ، ص ٣٣٩ .

[٢٨]– المسعودي، اثبات الوصية ، ص٤١٨ .

[٢٩]– الخطيب البغدادي ، الحافظ ابي بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ب.ت) ،ج١٢ ، ص ٥٧ .

[٣٠]–سلمان ، عبد الخالق ، العزي ، يونس ، عيسى و هناء و نجلة و نجاة ، العمارات العربية الاسلامية في العراق (قصور ومشاهد) ، الجزء الثاني ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢، ص ١٩٦ .

[٣١]– محفوظ ، حسين علي ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١٢ ، ص ١٤٠ .

[٣٢]– سلمان واخرون ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١٢ ، ص ١٩٦– ٢١٢ ؛ تم استبدال المشبك القديم الموجود في سرداب الغيبة باخر جديد ، وهذا ما شاهدناه عند زيارتنا للسرداب في سنة ٢٠٢٣ .

[٣٣]– "ومن الوهم ان يعتقد البعض بوجود المهدي في سرداب سامراء بل هو توهم فاسد ، وانما يتبركون بهذا السرداب ويتعبدون فيه فمن باب التبرك بآثار الصالحين لانه قد سكنة ثلاثة من أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان سرداب دارهم التي في سامراء" ؛جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة – قسم سامراء ، دار التعارف ، بغداد ، (ب.ت) ، ج ١٢، ص ٢٦٢ .

[٣٤]– كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، ط٢، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص ٨٠ .

[٣٥]– الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة –قسم سامراء ، ج١٢، ص٢٦٣–٢٦٤ .

[٣٦]– المنشئ البغدادي ، السيد محمد ابن السيد احمد الحسيني ، رحلة المنشئ البغدادي ، نقله عن الفارسية – عباس العزاوي ، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م ، ص٨٨ .

[٣٧]– الخياط ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة –قسم سامراء ، دار التعارف ، بغداد ، (ب.ت) ، ج١٢، ص ٢٦٧ ؛ اغلب المصادر والمراجع العربية تشير الى وجود أربعة قبور في حجرة ضريح الامامين العسكريين في سامراء ، الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري(ع) ، والسيدتين حكيمة ، والسيدة نرجس أم الامام المهدي المنتظر (ع) . وليس كما ورد اسمها بـ (حليمة) عند جعفر الخياط .

[٣٨]– عزام ، عبد الوهاب ، رحلات عبد الوهاب عزام ، مطبعة الرسالة ، العراق ، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م ، ص ٨١–٨٢ ؛ اغلب المصادر والمراجع العربية تشير الى وجود أربعة قبور في حجرة ضريح الامامين العسكريين في سامراء ، الامام علي الهادي والامام الحسن العسكري(ع) ، والسيدتين حكيمة ، والسيدة نرجس أم الامام المهدي المنتظر (ع) . وليس كما ورد عند عبد الوهاب عزام في رحلته بالسيدتين (سكينة خاتون) و(حليمة خاتون) .

[٣٩]– القزويني ، السيد محمد كاظم ، الامام الحسن العسكري من المهد الى اللحد ، منشورات لسان الصدق ، ط١ ، قم المقدسة ، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٣١٩ .

[٤٠]– وزارة السياحة والاثار ، الهيئة العامة للاثار والتراث ، تقرير رقم (٢) اعمار الروضة العسكرية في سامراء ، بغداد ، ٢٠٠٨، ص٦ .

[٤١]– المصدر نفسه ، ص ١–٤ .

[٤٢]– المصدر نفسه ، ص٣–٤ .